في عذاب الظالم وليس في قوله تعالى هنا وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون تكرير لما تقدم من قوله تعالى
فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون لان المراد به فيما تقدم قضاء بين الانبياء ومكذبيهم
وفي هذه الاية مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة
الظلم عليهم **ألا إن لله ما في السموات والأرض** اى ان كل شيء في السموات والارض لله ملكه لا شريك
فيه غيره فليس للكافر شيء يفتدي به من عذاب الله تعالى يوم القيمة لان الاشياء كلها لله وهو ايضا
ملك له فكيف يفتدي من هو مملوك لغيره بشيء لا يملكه والحاصل ان من له ما في العالم العلوي والسفلي خلقا
وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاثابة والعقاب قادر على انزال العذاب على اعاديه وايصال
الثواب على اوليائه فاذا وعد بشيء فلا خلف لوعده فهذا تقرير لما تقدم من قوله فاذا جاء رسولهم قضي
بينهم **ألا إن وعد الله حق** اى ما وعد الله به من الثواب والعقاب على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
ثابت كائن لا خلف فيه فهو دليل على القضاء بين الظالم والمظلوم وصدر الجملتين بحرف التنبيه ايقاظا
من سنة الغفلة **ولكن أكثرهم** اى اكثر الناس لقصور عقولهم وانهماكهم في الشهوات وعدم تفكرهم
في اثار صنعه **لا يعلمون** الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون
هو يحيي ويميت اى هو متفرد بذلك لا كما يقولون ما يهلكنا الا الدهر قال الاستاد هو يحيي ويميت
في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة
والموت قابلة لهما ابدا **وإليه** لا الى غيره **ترجعون** بعد الموت فيجازيكم بحسب اعمالكم وانتم لا تظلمون
ثم لما قال الله تعالى ان القران من رب العالمين واثبت رسالة نبيه وصف القران هنا بصفات اربع
فقال **يا أيها الناس** اى يا اهل مكة لانهم قالوا افتراه وقيل هو على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبري
قد جاءتكم موعظة اى زجر مقترن بالتخويف **من ربكم وشفاء لما في الصدور** اى
قد جاءكم كتاب عزيز وهو القران وعظ ونصيحة وارشاد للمكلف ببيان ما ينفعه من محاسن
الاعمال وما يضره من الترغيب في المحاسن والزجر عن القبائح والعلم الكافل بهذا البيان والاعتبار
هو الحكمة العملية المتعلقة بكيفية العمل لاشتماله على الدلائل القطعية الدالة على التوحيد وساير العقائد
وباعتبار قبول الدلائل القطعية والتدبر فيها شفاء ودواء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد
والعلم المتكفل بهذا البيان والاعتبار هو الحكمة النظرية فان الجهل داء ومرض للقلب الذي في الصدر
ان لم يداو بالتدبر في القران قوي وتبعه الهلاك وامراض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقايد
الفاسدة والجهالات المهلكة فالقران مزيل لهذه الامراض كلها وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع
القلب وغلافه وهو اعز موضع في بدن الانسان لمكان القلب فيه واخرج ابو الشيخ عن الحسن
قال ان الله تعالى جعل القران شفاء لما في الصدور قلت مراده امراض القلب كسوء الاعتقاد وهي اشد
الامراض ولم يجعله شفاء لامراضكم قلت يعني في ظاهر البدن لظاهر النص واخرج ابن المنذر وابن مردويه
عن ابي سعيد الخدري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اشتكي صدري قال اقرأ القران يقول
الله شفاء لما في الصدور واخرج البيهقي في شعب الايمان عن واثلة بن الاسقع ان رجلا شكى الى
النبي صلى الله عليه وسلم وجع حلقه قال عليك بقراءة القران قلت فالقران شفاء للامراض الظاهرة والباطنة

وراية

ورواية الحسن ما قل واخرج ابن ابي حاتم عن ابن مسعود قال في القران شفاءان القران
والعسل فالقران شفاء لما في الصدور والعسل شفاء من كل داء واخرج البيهقي عن طلحة بن
مطرف قال كان يقال ان المريض اذا قرئ عنده القران وجد له خفة فدخلت على خيثمة وهو
مريض فقلت اني اراك اليوم صالحا قال انه قرئ عندي القران قوله **وهدى** اى القران
هدى من الضلالة الى الحق واليقين يعني الى طريق مستقيم بالدلائل المنصوبة في الافاق والانفس
ورحمة للمؤمنين اى رحمة ونعمة لمن امن به وعمل بمضمونه حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال
الى انوار الايمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا الى درجات الجنان فالتنوين في
الصفات الاربع للتعظيم وانما خص الرحمة بالمؤمنين لانهم هم المنتفعون به دون غيرهم ثم لوى الخطاب
ووجهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليامر الناس بان يغتنموا ما في مجيء القران العظيم من الفضل
والرحمة فقال **قل بفضل الله وبرحمته** اى قل يا محمد للناس بانزال القران والهداية الى
الاسلام والايمان فليفرحوا **فبذلك** الفضل والرحمة **فليفرحوا** لا بغيرهما من متاع الدنيا فقوله بفضل
الله وبرحمته متعلق بفعل محذوف وهو فليفرحوا يفسره ما بعده يعني فليفرحوا المذكور بعده قوله
فبذلك فليفرحوا تقدير الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا فقوله فبذلك متعلق بقوله
فليفرحوا المذكور فتقديم الجار والمجرور للاختصاص يعني لا فرح الا بفضل الله ورحمته لا بزخارف
الدنيا وقيل قوله بفضل الله وبرحمته متعلق بفعل محذوف مناسب لقوله فليفرحوا اى فليعتنوا
حذف الاول لدلالة الثاني عليه وتكرير الفاء للتاكيد والتقدير ايجاب اختصاص الفضل والرحمة
بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا وانما للتاكيد لان اسم الاشارة بمنزلة الضمير واتيانه لاشتماله
على زيادة كمال التمييز ففيه زيادة تقرير وتثبيت والفاء الاولى جواب شرط محذوف كانه قيل ان
فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح وتوسيط العاطف باعتبار الصفات وفي اللباب الباء في بفضل الله
متعلق بمضمر استغني عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءتكم موعظة من ربكم والفضل
بمعنى الافضال ويكون معنى الاية على هذا يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما
في الصدور وهو القران بافضال الله عليكم ورحمته بكم وارادته الخير عليكم ثم اشار بقوله
فبذلك فليفرحوا الى القران لان المراد بالموعظة والشفاء القران فترك اللفظ واشار الى
المعنى وقيل فبذلك اشارة الى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطول والانعام فليفرحوا
قال الواحدي الفاء في قوله فليفرحوا زايدة كقول الشاعر ۞ واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي
الفاء في فاجزعي زايدة قرا الجمهور فليفرحوا بياء الغيبة وعن يعقوب فلتفرحوا بتاء الخطاب
على الاصل المرفوض بناء على مذهب الكوفيين وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي عنه
مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا واخرج الطيالسي وابو داود والحاكم وصححه وابن مردويه
عن ابي بن كعب قال اقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم فبذلك فلتفرحوا بالتاء واخرج ابن جرير
والبيهقي عن هلال بن يساف في قوله قل بفضل الله وبرحمته قال بالاسلام الذي هداكم و
بالقران الذي علمكم واخرج ابو الشيخ عن ابن عباس في الاية قال فضل الله العلم ورحمته محمد

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)